في منهج الدعوة

١- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم (وما كان المؤمنون لينفروا كافة. فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) ٩ : ١٢٢
وفي الحديث: (لكل شيء دعامة، ودعامة الإسلام الفقه في الدين، والفقيه أشد على الشيطان من ألف عابد
" " : (ما عبد الله بشيء أفضل من فقه في الدين (مفتاح دار السعادة : ٧٥ ، الإحكام لابن حزم ٥ : ١٢١)
هذا التفقه معناه: معرفة أحكام الشريعة من مصادرها التي لا تؤخذ إلا منها
وهذا " واجب. ووجوبه على وجهين: أن يتفقه المرء في نفسه لنفسه، وأن يتفقه في نفسه لينفقه غيره. والآية الكريمة من سورة التوبة تقرر ذلك: (ليتفقهوا ... ولينذروا)
وواجب على المسلم أن يطلب علم ما لا بد له منه في دينه: عقيدته، وعباداته، ومعاملاته
" " إمام المسلمين أن يأخذ الناس بهذا الواجب، وأن يرتب أقواما لتعليم المسلمين
" " كل جماعة مجتمعة متميزة في مكان أن ينتدبوا منهم من يطلب العلم ويتخصص فيه.

فالناس، في هذا التفقه الواجب، على مراتب، أدناها أن يعلم كل امرئ ما يسلم به دينه، في عقيدته، وعباداته، وحلاله وحرامه. أما أعلى التفقه فبعيدة المنتهى، ولكن من جاوز الحد الأدنى، وأخذ بسهم وافر من علوم القرآن والسنة، وما يلزم لهما من علوم الوسائل، فهذا الذي يحل له أن يتصدر لتفقيه الناس، ونشر الدين، بل ذلك عليه واجب. قال الإمام علي رضي الله عنه: لا يسأل الجهال لم لم يتعلموا حتى يسأل العلماء لم لم يعلموا.

٢- وليس يلزم أن من حفظ مصادر الشريعة أن يكون فقيها، فقد كان أبو هريرة من أحفظ الصحابة للسنة، ولكنه لم يكن من أفقههم، وكان ابن عباس أفقه منه، بل كان أبو حنيفة، والشافعي أفقه منه. وقد قال (ص): «فليبلغ الشاهد الغائب، فرب مبلَّغ أوعى من سامع»
وقال (ص): «نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها، وحفظها، وبلغها. فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه. ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة أئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم» (رواه الترمذي وغيره) (مفتاح دار السعادة : ٧٨)

فهذا النبي، صلى الله عليه وسلم، ~~يدعو بالنضرة~~ يبين مراتب العلم: السماع، والوعي، وهو عقل القلب له واستقراره فيه كما يستقر الشيء الذي يوعى في وعائه ولا يخرج منه. وكان الوعي والعقل قدرا زائدا على مجرد إدراك المعلوم. والمرتبة الثالثة: تعاهده ~~حتى~~ وحفظه حتى لا ينساه. والرابعة: تبليغه وبثه في الأمة؛ لأنه بغير هذه المرتبة بمنزلة الكنز المدفون، الذي لا ينتفع منه، فيكون معرضا لذهابه؛ فإن العلم ما لم ينتفع منه ويعلَّم فإنه يوشك أن يذهب. وفي كلام علي للكميل بن زياد: «إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها ... المال تنقصه النفقة، والعلم يزكو على الإنفاق»

~~فمن قام بهذ~~ وهذا النبي يخبر أنه قد يكون من يُحمل إليه الفقه أفقه من حامله؛ فإذا سمع ~~الفقه~~ مقالة رسول الله من حملها إليه حملها على أحسن وجوهها، واستنبط فقهها، وعلم المراد منها. فيحصل له ثواب هذا الاستنباط، ويحصل للمبلِّغ ثواب التبليغ.

وهذا النبي يدعو لمن قام بهذه المراتب الأربع بالنضرة، وهي دعوة متضمنة لجمال الظاهر والباطن؛ فإن النضرة هي البهجة والحسن الذي يكساه الوجه من آثار الإيمان، وابتهاج الباطن، وفرح القلب به، فتظهر هذه البهجة نضارة على الوجه، فيجمع الله له بين البهجة والسرور وبين النضرة، كما قال تعالى (ولقاهم نضرة وسرورا) فالنضرة في وجوههم والسرور في قلوبهم

- - -

وليس يلزم أن يكون من تفقه مؤهلا للقضاء بين الناس، أو الإمرة عليهم. بل ذلك لمن له عزم وقدرة، وحسن سياسة، وخبرة بأحوال الناس والمجتمع. وكان أبو ذر - على عظيم فضله، وكريم سوابقه في الإسلام، وزهده، وورعه، وصدعه بالحق - ممن لا [illegible]، ولم يكن ممن له القضاء والإمارة؛ لأنه لم يكن لديه التأني في تناول ما يريد، بل كانت فيه عجرفية ومواجهة، ربما صارت منفرا. وقد أمر النبي (ص) معاذا وأبا موسى، إذ بعثهما قاضيين على اليمن ومعلمين للدين، وأميرين - بأن ييسرا ولا ينفرا

رات
.com

وفي هديه (ص) من هذا التيسير، والتأليف ما هو جدير - بمفرده - أن يدون في كتاب. من ذلك :

— فقد روى أحمد أن رجلا جاء النبي (ص) فأسلم على أن يصلي صلاتين - وفي لفظ: على أن لا يصلي إلا صلاة - فقبل منه
وروى أبو داود أن وفد ثقيف بايعوا النبي (ص) على ألا يجاهدوا، ولا تؤخذ منهم صدقة، فأجابهم (ص) وقال:
سيتصدقون ويجاهدون. ولكنهم لما طلبوا الإبقاء على (اللات) أبى، ولما طلبوا الإعفاء من الصلاة مطلقا قال:
لا خير في دين لا صلاة فيه. (ملخص من المغني ١٠ : ٦٢٢ - ٦٢٥)

— وكان من هديه (ص) أنه إذا سلم عليه أحد وهو يبول لم يرد عليه، ولكن رجلا سلم عليه، وهو على بوله، فرد عليه، ثم قال: إنما رددت عليك خشية أن تقول: سلمت عليه فلم يرد علي سلاما، فإذا رأيتني هكذا فلا تسلم علي فإني لا أرد عليك السلام (الهدي ١ : ٦١)

— واستعار (ص) السلاح من صفوان بن أمية يوم حنين، وحضرها صفوان، وأعطاه (ص) مائة من النعم، ثم مائة، ثم مائة. فقال صفوان: والله لقد أعطاني ما أعطاني وإنه لأبغض الخلق إلي، فما زال يعطيني حتى إنه لأحب الخلق إلي.

— وجاءه أعرابي يطلب شيئا فأعطاه، ثم قال: أأحسنت إليك؟ قال الأعرابي: لا، ولا أجملت. فغضب المسلمون، وقاموا إليه. فأشار إليهم أن كفوا. ثم قام ودخل منزله وأرسل إليه، وزاده شيئا، ثم قال: أأحسنت إليك؟ قال: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا. فقال له النبي (ص): إنك قلت ما قلت وفي نفس أصحابي من ذلك شيء، فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي، حتى يذهب ما في صدورهم عليك. قال: نعم. فلما كان ~~العشاء~~ الغد جاء فقال (ص): إن هذا الأعرابي قال ما قال، فزدناه، فزعم أنه رضي، أكذلك؟ قال: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا. فقال ص: مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه، فاتبعها الناس، فلم يزيدوها إلا نفورا. فناداهم صاحبها: خلوا بيني وبين ناقتي، فإني أرفق بها منكم وأعلم. فتوجه لها بين يديها، فأخذ لها من قمام الأرض، فردها حتى جاءت، واستناخت، وشد عليها رحلها، واستوى عليها. وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار. (الشفاء ١ : ٧٢)

٣

(ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله، وعمل صالحا، وقال إنني من المسلمين)

~~سبيل الرسول (ص): الدعوة إلى الله، فمن دعا إلى الله تعالى فهو على سبيل الرسول (ص)، وهو على بصيرة~~

فقول من دعا إلى الله أحسن القول، ~~وشرف~~ وحسن الكلام على قدر موضوعه، وشرف العلم بشرف معلومه، والإيمان بالله أكبر علوم الحياة، فالعلم به، والدعوة إليه أشرف العلم وأشرف الكلام، وتلك وظيفة الرسل وأتباعهم. وجزاء الإيمان به هو الفوز العظيم، فكيف لا يكون القول في الحقيقة الكبرى، والفوز العظيم، ووظيفة الرسل - الأنبياء - ~~ومقام~~ أحسن القول. هذه الدعوة، هي في ذاتها أحسن القول، ولكن لا يتم حسنها على قائلها إلا باعتقاد ما يقوله، والعمل به كما بينته تلك الآية، وفي جامعة لهذه المراتب الثلاث: الاعتقاد (إنني من المسلمين) والعمل الذي هو ثمرة الاعتقاد (وعمل صالحا)، ثم الدعوة إلى ما آمن به، وعمل له.

والإسلام قد جعل (البرهان) طريق الاعتقاد، و(الصلاح) شرط العمل، و(البصيرة) منهاج الدعوة :
(قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني). وهذه الآية تقرر أمرين بحسب طريقة الوقف والابتداء: فإذا وقفنا على لفظ الجلالة: (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله) ثم ابتدأنا (على بصيرة أنا ومن اتبعني) كان الكلام على جملتين: الأولى تبين أن سبيله الدعوة إلى الله. والثانية تبين أنه ومن اتبعه على بصيرة من أمر عقيدتهم ودعوتهم: فقد آمنوا بها، ودعوا إليها على حجة وبرهان، وليس عن تقليد أو هوى.
والثاني إذا قرأناها جملة واحدة، ووقفنا على (اتبعني) كان الكلام على جملة واحدة تبين أن سبيله، وسبيل أتباعه هو أنهم يدعون إلى الله على بصيرة.
وهي تقرير لوجوب الدعوة على كل من اتبعه، وأن يكون في دعوته على بصيرة وعلم ويقين وبرهان كاشف ~~مستضيء~~. والمعنيان - على طريقي الوقف والابتداء - متلازمان. فلا يكون الرجل من أتباعه حقا حتى يدعو إلى ما دعا إليه، ويكون على بصيرة في اعتقاده ودعوته. مع رجحان الطريقة الأولى؛ لما ورد أنه (ص) كان يقف على (أدعو إلى الله) ثم يبتدئ (على بصيرة أنا ومن اتبعني)

رات .com

هذه هي سبيل رسول الله، ومن دعا إلى الله فهو على سبيل رسول الله، وهو على بصيرة، وهو من أتباعه، وقد أمر (ص) بالتبليغ عنه ولو آية، ودعا لمن بلغ عنه ولو حديثا.

- - -

هذه سبيل رسول الله (ص) وهو سبيل أتباعه: فيا عجبا لأناس يعرضون أنفسهم على هذه السبيل - وما أعظمه من سبيل، وما أكرمها من رسالة. ولكن مما يحزن القلب، ويؤلم النفس، ويجلب الهم أن نجد منهم من لم يفقه موضوعه يقينا، ولم يجمع حقائقه جمعا.

فالعرض على الشهرة، لكن شيئا جديدا من مثل هو عجيبا، وولعا بالغرائب، وغراما بالمخالفة، وإصرارا على تتبع العورات، والبطالة للسمعة، والسقطة للسمعة، والتعسف في التخطئة، والأخذ بوجهة واحدة، وهدم الآراء، والغرور بالنفس إلى حد التطاول على الأئمة الأعلام، ممن بذلوا حياتهم في خدمة الدين، وتأصيل أصوله، وتوضيح مقاصده وغاياته.

ولقد شهدت من هؤلاء من يزعم أنه كشف في البخاري عن مائة وعشرين حديثا ضعيفا. وهذا المستكشف من مرحلة الإعدادية!! ومنهم من يتطاول على الإمام أبي حنيفة والشافعي بألفاظ من سباب الرعاع، وما درى أنها شاهدة عليه بالجهالة الجهلاء. ومنهم من يتهم المذاهب كلها بالعظائم، ويزعم أنه ليس في حاجة إلى فقههم واجتهاداتهم، وإنما هو يأخذ من الكتاب والسنة مباشرة.

وهذا - في ذاته - حسن جميل، ولكن فيه من التقصير والقصور عن تحصيل الغاية بوسائلها، وهو أشبه ~~بجاهل~~ بمتعلم لمبادئ القراءة والكتابة يقول لك: لن أذهب إلى الطبيب، والواجب أن آخذ من كتب الطب مباشرة.

والدعوة إلى نبذ اجتهادات الأئمة، والاستقلال بالأخذ من مصدري الشريعة فيها غفلة تؤدي إلى (الدور) الباطل عقلا: فإذا أخذ شخص من الكتاب والسنة، وانتهى إلى فهم أخذ به، وجاء آخر، فمن أين يأخذ؟ أمن هذا الأول؟ إذا عاد الأمر إلى الأخذ عن الغير. أم سيستقل هذا الآخر بالفهم والاستنباط؟ وإذا عدنا إلى التعدد!!

على أنها دعوة إلى المستحيل، إذ لا بد لهذا الزاعم من معرفة اللغة كما نقلها أعلامها وشرحوها. ولا بد له من أحكامهم، وإثباتهم، أو تنفيذهم لما نقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم. ومثله لن يكون إلا رجاعا إلى أئمة هذه العلوم، إن كان حقا أهلا للأخذ من القرآن والسنة. أهل العلم والفقه ببلدنا وإن أحدهم إذا سئل عن مسألة كأن الموت أشرف عليه.

- - - (١)

لقد كان التابعون يتدارءون الفتوى، ويخشون تبعتها، وهؤلاء من بعدهم الفقهاء المجتهدون فكانوا وقافين عند حدود الله لا يدخلون في دين الله ما ليس منه، ولم يكونوا يقولون هذا حلال أو هذا حرام إلا لما علموه فيه نص ثابت. وكان مالك يقول: ما شيء أشد علي من أن أسأل عن مسألة من الحلال والحرام؛ لأن هذا هو القطع بحكم الله، ولقد أدركت أهل العلم والفقه ببلدنا وإن أحدهم إذا سئل عن مسألة كأن الموت أشرف عليه. وكان الإمام أبو حنيفة يتهم رأيه، فيقال له: أهذا الذي انتهيت إليه هو الحق الذي لا مرية فيه؟ فيقول: والله لا أدري، لعله الباطل الذي لا مرية فيه. وعلى هذا مضى الأئمة الأعلام. حتى قال إمام دار السلام ابن حنبل: لا ينبغي للرجل أن ينصب نفسه للفتيا حتى يكون فيه خمس خصال: أن يكون له نية، وأن يكون على علم وحلم ووقار وسكينة. وأن يكون قويا على ما هو فيه وعلى معرفته. وأن يكون على الكفاية. والخامسة: معرفة الناس.

ولله كلمة ختم بها ابن سينا كتابه الإشارات: إياك أن يكون تكيسك وتبرؤك عن العامة بالمبادرة إلى إنكار ما تسمع، فليس الخرق في المبادرة إلى الإنكار بأقل من الخرق في المبادرة إلى التصديق.

وهي كلمة تؤسس قانونا للعلاقة بين الباحث وما يجده في طريق بحثه مما يرضى أو لا يرضى، لتخلص بحثه من الرغبة الذاتية إلى طلب الحق خالصا من ميول الذات.

٤

واجب الداعي، وواجب المفتي، أن يقوم بثلاثة أمور يتدبرها، قبل أن يدعو أو يفتي: هذه الثلاثة:
التفقه العميق الواسع فيما يدعو إليه، أو يفتي فيه، مع الإدراك العام الشامل للإسلام، والوقوف على مقاصده، وليس مجرد الوقوف عند نصوصه الجزئية. بل يمتد هذا الإدراك عمقا واتساعا، فيتسم بالعمق، والشمول.

والثاني إدراك واقع الناس، وحقيقة ما هم عليه من طباع، ومعايش، وصلة بالدين، فإن الجهل بالناس قد يجر الداعي أو المفتي إلى وضع الحقيقة في غير موضعها وظلمها، أو يمنع الناس شيئا فيظلمهم، أو يحملهم على الحرج فيما فيه متسع فينفرهم، وقد كان في وسعه - لو علم - أن يتألف قلوبهم.
لما بعث الرسول (ص) حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس، صاحب الإسكندرية، قال له المقوقس: ما يمنع نبيك إن

رات .com

إن خالفه قومه أن يدعو عليهم؟ قال حاطب: فما بال عيسى بن مريم إذا أراد قومه صلبه أن يدعو عليهم؟ قال الحاطب: أنت حكيم جاء من عند حكيم.

٣- معرفة الداعي بأحوال الناس وطبائع النفوس تمكنه - إذا كان حكيما من الأمر الثالث في واجب الداعي والمفتي، وهو معرفة تطبيق الحكم على الواقع. وبذلك يضع الدين موضعه المثمر. لما بعث رسول الله (ص) عمرو بن العاص إلى الأخوين: جيفر، وعبد، ابني الجلندى، ملكي عمان - يدعوهما بدعاية الإسلام، بدأ عمرو بدعوة (عبد) لما يعلم أنه أحلم الرجلين وأسهلهما خلقا. والمتتبع للرواية تتكشف عما فيها من براعة الحوار، ولطف الوصول إلى دخيلة النفوس، ومواضع الرضا منها، ~~ولطف الداعي حتى يصل~~ وعن علم الداعي بحقيقة ما يدعو إليه، ولطافته حتى يصل إلى مواقع الرضا ممن يدعوه، وكيف يلطف الحد من حدة النذارة برقيق البشارة ..: قال عمرو: فلما قدمت عمدت إلى (عبد) وكان أحلم الرجلين وأسهلهما خلقا، فقلت: إني رسول رسول الله (ص) إليك وإلى أخيك، فقال: أخي المقدم علي بالسن والملك، وأنا أوصلك إليه حتى يقرأ كتابك. ثم قال: وما تدعو إليه؟ أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، وتخلع ما عبد من دونه، وتشهد أن محمدا عبده ورسوله. قال: يا عمرو، إنك ابن سيد قومك، وكيف صنع أبوك فإن لنا فيه قدوة؟ قلت: مات ولم يؤمن بمحمد (ص) ووددت أنه كان أسلم وصدق به، وقد كنت أنا على مثل رأيه حتى هداني الله للإسلام. قال: فمتى تبعته؟ قلت: قريبا. فسألني: أين كان إسلامك؟ قلت: عند النجاشي. وأخبرته أن النجاشي قد أسلم. قال: فكيف صنع قومه بملكه؟ قلت: أقروه واتبعوه. قال: والأساقفة والرهبان تبعوه؟ قلت: نعم. قال: انظر يا عمرو ما تقول، إنه ليس من خصلة في رجل أفضح له من الكذب. قلت: ما كذبت، وما نستحله في ديننا. ثم قال: ما أرى هرقل علم بإسلام النجاشي. قلت: بلى. قال: بأي شيء علمت ذلك؟ قلت: كان النجاشي يخرج له خرجا، فلما أسلم، وصدق بمحمد (ص) قال: لا، والله لو سألني درهما واحدا ما أعطيته. فبلغ هرقل قوله، فقال له (النياق) أخوه: أتدع عبدك لا يخرج لك خرجا، ويدين بدين غيرك، دينا محدثا؟ قال هرقل: رجل رغب في دين، فاختاره لنفسه، ما أصنع به. والله لولا الضن بملكي لصنعت كما صنع. قال: انظر ما تقول يا عمرو! قلت: والله صدقتك. قال عبد: فأخبرني ما الذي يأمر به وينهى عنه؟ قلت: يأمر بطاعة الله عز وجل، وينهى عن معصيته. ويأمر بالبر، وصلة الرحم، وينهى عن الظلم والعدوان، وعن الزنا، وعن الخمر، وعن عبادة الحجر والوثن والصليب. قال: ما أحسن هذا الذي يدعو إليه. لو كان أخي يتابعني عليه لركبنا حتى نؤمن بمحمد، ونصدق به، ولكن أخي أضن بملكه من أن يدعه، ويصير ذنبا. قلت: إنه إن أسلم ملكه رسول الله (ص) على قومه، فأخذ الصدقة من غنيهم فردها على فقيرهم. قال: إن هذا لخلق حسن ...

قلت: بمثل هذه اللباقة والمياسرة، والجدال الحسن، والترغيب الجميل، والصبر على الحوار، والحرص على الدعوة والمدعو .. فتح الله قلوبا كثيرة للدعوة، وشرح صدورا للإسلام، وفتح بلادا فسطع الحكم الإسلامي الحسن، والكلم الطيب، ولم تقترع سيوف المجاهدين، ولا أسنة المحاربين.

فالفقيه كل الفقيه من يطبق بين الواجب والواقع، وينفذ الواجب بحسب الإمكان، لا من يلقي العداوة بين الواجب والواقع. ولو وقفنا في الفتوى، والدعوة عند حد الواجب الكامل، والمثالية المطلقة لعطلت الأحكام، وفسد نظام العالم، وضاعت المصالح، وعدا الناس بعضهم على بعض. فالواجب اعتبار الأصلح فالأصلح عند القدرة والاختيار. أما عند الضرورة - ومعناها الشرعي الصحيح - (وليس المطاطة ودعاوى الباطل) فليس القيام إلا بما يعلم من مراتب الواجب، والاستعانة بينها المكلف، وعدم التردد في العمل به، على أن يكون ذلك خطوة تمهد لأخرى حتى يستكمل العمل بنا(؟)ه.

ومراعاة هذه الجوانب الثلاثة: فهم الدين وحكمه، ومعرفة الواقع، وكيفية تطبيق الواجب على الواقع، تجانسه بدنه على حقيقة الإسلام وبشرعه في تطبيق حكمه على الواقع - هذه الجوانب الواجبة على الداعي هي واجب العالم والمفتي: يفهم الواقع وأحواله، وإطلاقات الناس فيه، واصطلاحاتهم، والحكم وكيفية تطبيقه، فإذا استفتاه مستفت حلف لا يأكل (لحما) فأكل سمكا، والعرف بينهم ألا يطلق اللحم على السمك، لزم أن يفتيه بعدم الحنث، مع أن القرآن سمى السمك (لحما طريا).

والذي يقضي في إثبات سرقة. لو نظر إلى حكم السرقة، وعلم السارق، ولكنه لم ينظر في مدى انطباق الحكم على الواقع فقد يخطئ في الحكم والتطبيق. وقد يكون هناك دافع لهذا السارق يسقط عنه الحكم، وقد تكون مشتبهة كأخذ الوالد من ولده. وقد يكون المجتمع أهمله وأضاعه. فالواجب أن ينظر في واقع هذا السارق: ممن سرق؟ وما سرق؟ ومن أين سرق؟ ولماذا سرق؟

رات .com

كم تحرج كثير من معاملة البنوك، من يقينهم بمعاملاتها الربوية، ومشاركة المعاونين على الإثم بمفاعلة فيه "

كيف إلى أن ينتهي الأمر إذا أفتى هؤلاء بوجوب ترك عملهم كما قال بعضهم ؟

تصير الأعمال المالية كلها في أيدي غير المسلمين، وتمسك بزمام الاقتصاد من لا يؤمن بالإسلام، ويصبح المسلمون على غيرهم عالة، وتنحل قبضتهم عن زمام السياسة بمقدار انفلات زمام الاقتصاد من أيديهم..!

إنما الواجب أن يظل هؤلاء في أماكنهم، ثم ما يكون حلالاً في معاملات البنوك نعمه، وما يكون مشوبا بالحرام ننقيه، وما [illegible] حرام نقصيه. نبذل في ذلك الجهد الذي يدرج على سبيل النجاح والنجاة. هذا هو فقه الدين!

- - -

ومن العجائب - والعجائب جمة - في إهمال (الواقع) والاستمساك (بالنص) والتقصير في تطبيقه على الواقع حكم من حكم بثبوت نسب الولد لمن عقد على امرأة وهو بأقصى المشرق ثم طلقها في المجلس وهي بأقصى المغرب ثم جاءت بعد العقد بستة أشهر بولد على غير لقاء بينهما، تمسكا بالحديث (الولد للفراش) !!

إنه مجال واسع - مجال دراسة الواقع وكيفية تطبيق الحكم عليه، تظهر فيه المدارك العلمية، والقدرة على تطبيقه: مر شيخ الإسلام ابن تيمية ومعه بعض تلاميذه على بعض التتار وهم يشربون الخمر، فهم تلميذه بامتثال أمر الشرع في النهي عن المنكر. فمنعه الشيخ، وقال له: دعهم، إنهم إن صحوا عنها قاموا إلى قتل المسلمين !! (علم القضاء وفقه القضاء - الأشباه ص ٢٨١)

والشعبي - على منزلته في العلم والدين قال: شهدت شريحا القاضي، وجاءته امرأة تخاصم رجلا فأرسلت عينيها وبكت. فقلت: يا أبا أمية، ما أظن هذه البائسة إلا مظلومة. فقال: يا شعبي، إن إخوة يوسف جاءوا أباهم عشاء يبكون

والشعبي هذا هو الذي حسد ملك الروم المسلمين عليه، فعندما بعثه عبد الملك بن مروان إليه، بعث معه الملك برقعة لطيفة إلى عبد الملك. فلما قرأها عبد الملك قال للشعبي: تدري ما فيها؟ قال: لا. قال: فيها: عجبا كيف ملكت العرب غير هذا. أفتدري ما أراد؟ قال: لا. قال: حسدني بك، فأراد أن أقتلك. فقال الشعبي: لو رآك يا أمير المؤمنين ما استكثرني. فبلغ ذلك ملك الروم فقال: والله ما أخطأ ما في نفسي.

والشعبي هذا هو الذي زار الحجاج في مرضه، فسأله الحجاج: كم عطاءك؟ فقال: ألفين! فقال الحجاج: كم عطاؤك؟ فقال: ألفان. فقال له الحجاج: ويحك، أتلحن فيما لا يلحن فيه غيرك؟ فقال الشعبي: لحن الأمير فلحنت، وأعرب الأمير فأعربت، وما كنت بالذي يعرب الأمير وألحن، فأكون كالمستدرك عليه !!

راجع فتاوى ابن تيمية ٥٤٩

ومن لطيف ما يذكر في هذا المقام ما روي من أن عبد الله بن رواحة، رضي الله عنه شهدته زوجته مع جاريته، واعترتها الغيرة، فأخبرها أنه لم يفعل! فقالت: إن كنت لم تفعل فاقرأ القرآن. لعلمها أن الجنب لا يقرأ القرآن. فقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

علمت بأن وعد الله حق ∴ وأن النار مثوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طاف ∴ وفوق العرش رب العالمينا
وتحمله ملائكة كرام ∴ ملائكة الإله مسومينا

قالت: صدقت، وكذبت عيناي !! قال: فذهبت وأخبرت النبي (ص) فضحك حتى بدت نواجذه، ويقول: كيف قلت؟ وصار يكررها.

أحسب لو عرض مثل هذا على أحدهم لرمى صاحبه بالعظائم. وكم يحتج له من ظاهر اللفظ. أليس هو قد أنكر فعلا فعله؟ أليس هو خدع امرأته؟ أليس قال شعرا وزعمه قرآنا؟ ألم يكن ذلك قد تضمن نسبة قول إلى الله تعالى لم يقله؟

رات .com

ولكنه مع كل هذه الظواهر وقد ضاق الرسول (ص) ... واستعاد ما قال .

وفرق ما بين الموقفين هو فرق ما بين المرحلتين: رجل نبي يسع محله الإنسانية، ويسع تعلمه طبائع بني الإنسان، ورجل مؤمن متصرف بحماس الإيمان،

ثم تجادل قوم في سنة الجمعة القبلية، وأقاموا سوقاً صاخبة للجزم بخطأ فاعلها، ومنعه بالبدعة صلاتها بأن الرسول (ص) لم يفعلها، مع طرح الاجتهاد في القول بها، واعتباره من الخروج على السنة. مع توجيه القول بأنه لما سن عثمان الأذان الأول، اتفق المسلمون عليه وصار عملياً مشروعاً غير منكر، وحينئذ تكون الصلاة بينه وبين الأذان الثاني جائزة حسنة، من غير أن تكون سنة راتبة كالصلاة قبل المغرب. فمن فعلها لم ينكر عليه، ومن تركها لم ينكر عليه. وهذا أعدل الأقوال. وإن كان رسول الله (ص) لم يصل شيئاً قبل الجمعة، فإنه قال: بين كل أذانين صلاة لمن شاء (الفتاوى)

~~[illegible] الأوطار ٧: ٢٩٩~~ / ~~[illegible] الهدى [illegible]~~ / ~~[illegible]~~
~~[illegible] ١: [illegible]~~ ~~الفتاوى [illegible]~~ / ~~[illegible]~~ / ~~[illegible] (الروض [illegible])~~
~~[illegible] ابن حزم ٢: ١٩~~ / ~~الشافعي ١: ٩٧~~

— أبو هريرة في الفردوس / الكامل ١: ١١٩ / الفرزدق في المحسن الكامل ١: ١١٩

— حديث ... آخر قضية الشورة من ابن كثير، مسلم ٢: ١٨٠

ما رواه أحمد

وأبلغ من هذا في الرفق، والتدرج، ومراعاة القدرة والترقي بها وبالطبائع أن رجلاً أتى النبي ص فأسلم على أن يصلي صلاتين، فقبل منه. وفي لفظ: على أن لا يصلي إلا صلاة، فقبل منه)

وما رواه أبو داود في شأن ثقيف إذ بايعت النبي (ص) فاشترط عليه أن لا صدقة عليها، ولا جهاد وأن جابراً سمع النبي (ص) بعد ذلك يقول: «سيتصدقون ويجاهدون»

وذكر ابن قدامة، في باب عقد الجزية، أن الإمام أحمد سئل عن الرجل يسلم بشرط أن لا يصلي إلا صلاتين؟ فقال: يصح إسلامه ويؤخذ بالخمس.

ليت هذا يبلغ الذين فاوضهم صيدلاني من (مدينة طنطا) على أن يسلم، فشرطوا عليه - فيما شرطوا - أن يعفي لحيته، فإن لم يفعل فلم يصح إسلامه!! فأفهمهم أنه يريد أن يكتم إيمانه مدة .. فأبوا عليه إلا ما قالوا! وظل الرجل على ما كان عليه. ولا أدري إلام انتهى أمره

وروى أحمد أن الرسول ص دخل كنيسة لليهود وعندهم رجل مريض ورجل منهم يقرأ عليهم التوراة، فلما أتوا على صفة النبي (ص) أمسكوا، فقال النبي (ص): «ما لكم أمسكتم»، فقال المريض: إنهم أتوا على صفة نبي فأمسكوا. وقرأ المريض حتى أتى على صفة النبي وأمته. فقال: هذه صفتك وصفة أمتك، أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. ~~ثم مات~~ فقال ص لأصحابه: «لوا أخاكم» أمرهم بأن يلوا أمر ذلك الرجل المريض؛ لأنه قد صار بسبب تكلمه بالشهادتين أخا لهم. وكان دخوله (ص) الكنيسة سببا في إسلام ذلك الرجل.

وروى البخاري عن أنس أن غلاما يهوديا كان يخدم النبي (ص)، فمرض، فأتاه النبي (ص) يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: أسلم. فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم (ص) فأسلم، فخرج النبي (ص) وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار

وأهدى ملك (أيلة) للرسول ص قباء من حرير فلبسه (ص) ساعة، ثم نزعه تأليفا للملك

و~~أيام~~ عمر وكان بنو تغلب من العرب، وفي الجاهلية دخلوا النصرانية، فدعاهم عمر إلى بذل الجزية، فأنفوا، وقالوا: نحن عرب، خذ منا كما يأخذ بعضكم من بعض باسم الصدقة. فقال عمر: لا آخذ من مشرك صدقة. فلحق بعضهم بالروم، فقال النعمان بن زرعة: يا أمير المؤمنين، إن القوم لهم بأس وشدة، وهم عرب يأنفون من الجزية، فلا تعن عليك عدوك بهم، وخذ منهم الجزية باسم الصدقة، فبعث عمر في طلبهم فردهم.
فانظر كيف كان التصرف بتغيير الاسم مع الإبقاء على المعنى مرضيا لهؤلاء، ومبقيا لهم بأرضهم، وحافظا للدولة. وقد رجح العلماء أن تصرف (صدقة بني تغلب) مصرف الفيء باعتبار المعنى، ولا تصرف مصرف الزكاة باعتبار الاسم!

وكان صلى الله عليه وسلم قد ينتقل عن الأفضل إلى المفضول لما فيه من الموافقة غير الضارة، وعدم المخالفة، تأليفا للقلوب، كما قال لعائشة: لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لنقضت الكعبة، وجعلت لها بابين. فهذا ترك ما هو الأولى؛ لأجل الموافقة والتأليف.

~~فهذا~~ وحج صلى الله عليه وسلم (قارنا) بين الحج والعمرة، فلما شق على الصحابة الذين لم يسوقوا هديا، وأمرهم (ص) بأن يحجوا (متمتعين) شق عليهم أن يحلوا من إحرامهم مع بقائه (ص) هو محرما، وكان (ص)

رات
.com

يختار موافقتهم، ليفعلوا ما أمروا به مع انشراح وقبول ومحبة - لما رأى منهم ذلك قال: لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سقت الهدي، ولحللتها عمرة)) . وفي هذا القول، مع هذا الفعل جمع بين ما فعله من التمتع وبين ما ودّه وتمناه، ويكون الله جمع له بين الأمرين: أحدهما بفعله، والثاني بتمنيه ووداده، فأعطاه أجر ما فعله، وأجر ما نواه من الموافقة

وكان من هديه (ص) أنه إذا سلم عليه أحد وهو يبول لم يرد عليه، رواه مسلم في صحيحه، ولكنه ردّ على رجل السلام وهو على هذه الحال، ثم قال للرجل: إنما رددت عليك خشية أن تقول: سلمت عليه فلم يردّ عليّ سلاما، فإذا رأيتني هكذا فلا تسلم عليّ، فإني لا أردّ عليك السلام

ولما أراد النبي ص الخروج من مكة بعد الحج تبعتهم ابنة حمزة تنادي، يا عم، يا عم، فتناولها علي بن أبي طالب، رضي الله عنه فأخذ بيدها، وقال علي لفاطمة: دونك ابنة عمك، حملتها. فاختصم فيها علي وزيد وجعفر. فقال علي: أنا أخذتها وهي ابنة عمي. وقال جعفر: ابنة عمي وخالتها تحتي. وقال زيد: ابنة أخي. فقضى بها رسول الله (ص) لخالتها، وقال: الخالة بمنزلة الأم. وقال لعلي: أنت مني وأنا منك. وقال لجعفر: أشبهت خَلقي وخُلقي. وقال لزيد: أنت أخونا ومولانا.

فانظر كيف قضى بالحق في الحضانة، بأن الخالة مقدمة على سائر الأقارب بعد الأبوين، وأن تزوج الحاضنة بقريب من الطفل لا يسقط حضانتها. ثم انظر كيف التفت برقته ولطف مسلكه فقال لعلي ولزيد ما قال، ولم يسكت عنهما اكتفاء بحكم الحق، بل ذكر من خصوصية الوشيجة بينه وبين كل منهم ما يطيب خاطره، ويسيغ الحكم لديه !!

ولما أحرمت عائشة بعمرة مفردة، فلما كانت (بسرف) قريبا من مكة حاضت، فقال لها ص: اغتسلي وأهلي بالحج. فلما هم بالرجوع إلى المدينة، لم ترض عائشة أن أدخلت مناسك العمرة في الحج، وقالت للرسول: يرجع الناس بنسكين وأرجع بنسك. فأرضاها - مع تحصيلها الحج والعمرة شرعا - وقال لأخيها عبد الرحمن أعمرها، فنظر إلى أدنى الحل، فأعمرها من التنعيم.

ولما أفاض (ص) من عرفة أردف أسامة بن زيد خلفه، ولما أفاض من مزدلفة أردف الفضل بن عباس وهو يلبي في سيره، وانطلق أسامة على رجليه. وأمر ابن عباس أن يلتقط له حصى الجمار، فالتقط له سبع حصيات من حصى الخذف، فجعل (ص) ينفضهن في كفه ويقول: أمثال هؤلاء فارموا، وإياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين. وفي طريقه تلك عرضت له امرأة من خثعم، جميلة، فسألته عن الحج عن أبيها، وكان شيخا كبيرا، لا يستمسك على الراحلة. فأمرها أن تحج عنه. فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه. فوضع (ص) يده على وجهه وصرفه إلى الشق الآخر، وكان الفضل وسيما. وهكذا صرف باللطف وجهه عن نظرها إليه، وصرفه عن نظره إليها

ولم يكن منهجه (ص) في الرفق واللين، والأخذ في الله للعصاة والمخالفين مقصورا على المؤمنين، بل اتسع ليشمل من كان يعلم أعيانهم من المنافقين، فقبل منهم ظواهرهم، مع حكم الله عليهم بالكفر بقوله: (وكفروا بعد إسلامهم) ٩: ٧٤ .

ولما توفي عبد الله بن أبيّ بن سلول، فقام رسول الله (ص) ليصلي عليه. فقام عمر فقال: يا رسول الله، أتصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه؟ فقال ص: إنما خيرني الله تعالى فقال: (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم، إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم)) وسأزيد على السبعين)) قال: إنه منافق، فصلى عليه رسول الله (ص)، فأنزل الله: (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره) . فحمله خلقه (ص) ورجاؤه الخير أن حمل لفظ (أو) على التخيير، ولما جاء النهي المجرد حمله على الوجوب، ولم يحمله على ما أراده عمر من ألا يصلي عليهم ولا يستغفر لهم، وأصاب (ص) في حمل الآية على التخيير، وهو ص أعلم بلغة العرب، وقول عمر اجتهاد منه لم يصب فيه. فكان نهيا له (ص) أن يستغفر لهم ما لم ينه عن ذلك (الإحكام لابن حزم ٢: ١٩-٢٠). ومع نهي الله له لم يمنع ص من الصلاة عليهم مسلما، ولم يقتل منهم أحدا. فأما أمره ألا يصلي عليهم؛ فإن صلاته - بأبي وأمي صلى الله عليه وسلم - مخالفة صلاة غيره، وكان الله قضى - إذ أمره بترك الصلاة على المنافقين -: ألا يصلي على أحد إلا غفر له، وقضى ألا يغفر لمقيم على شرك. وقضى على المنافقين بأنهم في الدرك الأسفل من النار (أحكام القرآن للشافعي: ١: ٢٩٤-٢٩٧) .

وذلك ما أوسع رجاء الرسول ص وأرحب حلمه، إذ لما مات ابن سلول دفع بقميصه إلى ابنه ليكفنه فيه لعله رجاء أن يغفر له، لتطييب خاطر ولده عبد الله (رضي الله عنه) أو لعله لحاجة: أو لعله كان مكافأة لعبد الله بن أبي نفسه؛ لأنه كان كسا العباس قميصا بعد بدر فأراد (ص) أن يكافئه (رسول السلام: ٥٤٥) ←

وعلى طريق هذا الهدى المحمدي سار أصحابه وتابعوهم، فلم يقل أحد من الراشدين أحدا من المنافقين، ولا منعوا الصلاة عليهم. وكانت الحسنى طريقتهم في المعاملة، وقد وضع ابن مسعود قاعدة جامعة في ذلك حين قال: خالطوا الناس، وصافحوهم بما يشتهون، ودينكم لا تكلمنه. وقوله: خالطوا الناس وزايلوهم في الأعمال)

ومن لطائف ما يذكر في هذا الباب ما ذكره أبو العباس المبرد: أن أبا هريرة نظر إلى الفرزدق فقال له: مهما فعلت فقنطك الناس فلا تقنط من رحمة الله. ثم نظر إلى قدميه فقال: إني أرى لك قدمين لطيفين، فابتغ لهما موقفا صالحا يوم القيامة

والتقى الحسن والفرزدق في جنازة فقال الفرزدق للحسن: ... ص ١١٩ من الكامل.

والفرزدق هو القائل: أطعتك يا إبليس تسعين حجة ص ١٢

لقد علم النبي الإنسان أن للناس قدرات تختلف سعة وضيقا، وتتفاوت عزما ووهنا فأخذ كلا بقدره، وحمل كلا قدر استطاعته، ولم يقنط العاجز من رحمته
أحمد (آخر التوبة)

٣ - آثار هذا المنهج

واتباع هذا الهدى النبوي، واتخاذه سبيلا للدعوة خلقا يحقق أمورا، منها كطريق لصاحبه والدعوة

منها: ١- الرفق بالناس:

روى الطبراني والبزار أن رسول الله (ص) قال: يا فلان، فعلت كذا؟ قال: لا، والذي لا إله إلا هو ما فعلت. ورسول الله (ص) يعلم أنه فعل. فقال عليه السلام: كفر عنك بتصديقك بلا إله إلا الله
(حياة الصحابة ٢: ٩)

أرأيت إلى هذه الرقة! ألا تعجبون لهذه الرأفة! يكذب، ويكذب على رسول الله (ص) ويقسم على كذبه! والرسول ص يعلم أنه فعل، ويعلم أنه يكذب عليه، ويعلم أنه أقسم كاذبا. ومع كل ذلك يلتقط كلمة من كلامه تعبر عن سلامة يقينه، وصحة إيمانه، فلا يجعلها (ص) دعاء للتكفير عنه، بل يخبره الصدق: أنه كفر عنه بتصديقه بأنه لا إله إلا الله

يوضح هذا ما روي أن الحسين بن علي، رضي الله عنهما، ادعى عليه رجل مالا، فقال الحسين: ليحلف على ما ادعاه ويأخذه. فتهيأ الرجل لليمين، وقال: والله الذي لا إله إلا هو ... فقال الحسين: قل: والله، والله، والله، إن هذا الذي تدعيه قبلي. ففعل الرجل. وقام، فاختلفت رجلاه، وسقط ميتا! فقيل للحسين: لم فعلت ذلك؟ أي: عدلت عن قوله: والله الذي لا إله إلا هو، إلى قول: والله والله والله؟ فقال: كرهت أن يثني على الله فيحلم الله عليه!!

سبحان الله العظيم، سبحان الله العليم الحليم، يمحو السيئ بالحسن، ويتجاوز عن السيئات لسابق الحسنات، ويعفو لصاحب الإحسان العظيم. لقد رمى موسى الألواح التي فيها كلام الله، الذي كتبه بيده، وجر نبيا مثله بلحيته، وربه تعالى يحتمل ذلك منه، ويحبه ويكرمه؛ لأنه قام لله تلك المقامات العظيمة في مقابلة أعدى عدو له، وصدع بأمره، وعالج أمتي القبط وبني إسرائيل أشد المعالجة.

~~وانظر إلى موسى بن يقين، حيث لم~~

هذا حلم الله، وذاك منهج رسوله. فأين هذا ممن يلتقط الغلطة ليشنع، والزلة ليشيعها، ويتربص بالناس ليدرك منهم هذه أو تلك ليهدم كل أحد، وينتقد كل قول، ويصغر كل كبير...

٢ - ومن فوائده: الستر على الناس:

قال الشعبي: كان الشعبي في بيت ومعه جرير بن عبد الله البجلي فوجد ريحا، فقال عمر: عزمت على صاحب هذه الريح لما قام يتوضأ. فقال جرير: يا أمير المؤمنين، أو يتوضأ القوم جميعا. فقال عمر: يرحمك الله، نعم السيد كنت في الجاهلية، ونعم السيد أنت في الإسلام

بدليل سادوا في الإسلام سادوا، ولم يليس كانوا لهم في الجاهلية أول.

ولم تكن هذه السيادة، التي أشار إليها عمر، سيادة سلطان أو تسلط، إنما كانت سيادة حلمهم وغفرانهم، وتغابيهم ليس الغبي بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغابي

فسادوا على عروش القلوب، قبل أن يسودوا عروش البلاد. وهكذا يسود قومه صاحب الخلق، الذي لا يؤاخذ بالضعف، ويستر العورات، ويأخذ العفو، ويأمر بالعرف، ويعرض عن الجاهل. وتلك أخلاق القيادة، كما أنها أخلاق السيادة

←

يا عبد الله الحليم سيد ([illegible]) وما [illegible]
على سورة ([illegible])

٢- ومن فوائد هذا المنهج القرآني المحمدي: حفظ كرامة المطاع

كان عيينة بن حصن سيداً في قومه بيد أنه كان أحمق، وكان من حماقته أن دخل على رسول الله (ص) بدون إذن، فقال له (ص): يا عيينة أين الاستئذان؟ قال: يا رسول الله ما استأذنت على أحد من مضر منذ أدركت. ثم قال للرسول: من هذه الحميراء الجالسة إلى جنبك؟ قال: هذه عائشة أم المؤمنين. فلما خرج قالت عائشة: من هذا؟ قال: أحمق مطاع [illegible] في قومه

وكان الرسول (ص) أعطاه، فيمن أعطى، من المؤلفة قلوبهم، وكان عباس بن مرداس ممن أعطاه (ص) فسخط عطاءه، وعاتب رسول الله (ص) وقال شعراً في ذلك، فقال (ص): اذهبوا به فاقطعوا عني لسانه. فأعطوه حتى رضي، فكان ذلك قطع لسانه، الذي أمر به (ص) !!

عبد ال[illegible]